الأدب الجزائري المكتوب باللغة الأجنبية

ماستر 1

أدب حديث ومعاصر

الأستاذة بركات

موضوعات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الأجنبية

نشأ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في سياق كولونيالي، وبتأثير من الأدب الغربي، والكتابات الاستعمارية (مدرسة الجزائر)، فقد تفتح على الثقافة الأجنبية، والفرنسية منها على وجه الخصوص، واتّسمت كتابات المرحلة الأولى من ثلاثينيات القرن العشرين إلى نهاية الحرب العالمية الثانية بالسطحية والتقليد، وافتقدت الرؤية العميقة، وابتعدت عن واقع البلاد، وتناولت حياة الشخصيات، والحالة الاجتماعية، مثل؛Zohra .la femme du mineur 1925 زهرة امرأة المنجمي لعبد القادر حاج حمو، و 1928Mamoun,l'ébouche d'un idéal لشكري خوجة، ورواية Bou- el- Nouar, le Jeune Algérien 1941بولنوار فتى جزائري لرابح زناتي، وغيرها من الروايات التي سلّطت الضوء على القضايا الاجتماعية؛ شرب الخمر، القمار، الزواج المختلط.

وفي مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية ظهرت كتابات سعت إلى ملامسة واقع الشعب الجزائري المضطهد، تلك هي كتابات جيل الرواد مثل ديب، وآسيا جبار، ومعمري، ونبيل فارس، ومالك حدّاد، وبوجدرة وغيرهم ممن نعتبرهم الجيل المؤسّس للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، حيث اعتبر النقاد فترة الخمسينيات المرحلة الفعلية لنشأة الأدب الجزائري الأصيل الذي عبّر عن معاناة الجزائريين ، وعن همومهم و آلامهم، وتضامنهم مع القضية الجزائرية. فعلى الرغم من تأثّرهم بالأدب الاستعماري، إلا أنّهم استطاعوا تطويع أدبهم لحمل تجربة مجتمعهم، وتصوير ما يحدث في الجزائر. ومن ثم "كان الأدب الاستعماري شاهدا على أنّ الكتاب الفرنسيين لم يستطيعوا التعمّق في الأرض التي اعتبروها أرضهم، ولم يتجاوزوا حاجز الغربة ولذلك لم يصوّروا حياة الشعب المغربي. وفي أفضل الحالات وقفوا متفرّجين سلبيين، ولم يعبّروا عن أمال خلجات قلوب الشعب المظلوم. ولقد أخذ الكتاب المحليون على عاتقهم حمل هذه الرسالة،" إذ التزم الكتاب الجزائريون بقضايا شعبهم، وعبّروا بصدق عن

انشغالات الإنسان الجزائري وطموحاته، متجاوزين النظرة الغنائية، الرومانسية التي ميّزت كتابات ألبير كامي، وروبلاس، وجيد التي عدّت كتابات سياحية لم تعن بقضايا الشعب المستعمَر.

ونورد فيمايلي الموضوعات البارزة التي تمحور حولها الأدب الجزائري المكتوب باللغة الأجنبية.

الهوية:

حمل الكتاب الجزائريون على عاتقهم مهمة المقاومة بالكتابة، وتميّزت كتابات الرواد الناطقة بالفرنسية بتوظيف التراث المحلي، وتثمين مكتسبات الذات، وإضاءة الماضي، والتأكيد على عناصر الثقافة المحلية في مقابل كشف محاولات المستعمِر تشويه الهوية، وغزو الثقافة الجزائرية العربية.

الأوضاع الاجتماعية:

ركّزت الكتابات الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية على نقل واقع المجتمع الجزائري بأدق تفاصيله، وهو ما نجده في روايات الروّاد مثل ثلاثية محمد ديب، كما تناول كل من مولود فرعون ومولود معمري موضوع الفقر، وفي رواية La répudiationالتطليق يفضح رشيد بوجدرة التقاليد العفنة، والعادات البالية والخرافات، والعلاقات الإقطاعية، وحب الثأر وكل ما يقف بوجه التقدّم والازدهار والتطوّر.

الحرب:

شكّل موضوع تجنيد الشباب الجزائري للدفاع عن فرنسا في مرحلة الحرب العالمية الثانية محور كتابات الروّاد من الكتاب الجزائريين المعبّرين باللغة الفرنسية، كما صوّر هؤلاء خيبة أمل الجزائريين في نيل استقلالهم بانتهاء الحرب مع الألمان. ورد في رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب التركيز على بداية الحرب العالمية الثانية، ووصف فرحة الجزائريين بهذا الحدث. كما نلفي الحرب وظروفها في رواية La Coline oubliée الهضبة المنسية لمولود معمري، وتناول كاتب ياسين أنواع التعذيب بسبب مجازر الثامن من ماي ألف وتسعمائة وخمس وأربعين. وسجّلت الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية بطولات الثورة والثوار، فحضرت الثورة في كل كتابات الروّاد، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر L'opium et le bâton الأفيون والعصا لمولود معمري، وروايةNedjma لكاتب ياسين. وتناول الكتاب الجزائريون القضية الوطنية وسعوا إلى نقل صورة عن واقع الشعب المستعمَر في تلك الفترة بلغة الآخر والعالم للردّ

على المستعمِر، وتعديل الصورة التي تشكّلت عبر الكتابات الاستعمارية الاستشراقية عن الجزائر والمغرب العربي ككل.

التعليم الاستعماري:

يتم التلميح إلى إشكالية التعليم الاستعماري في رواية "الدار الكبيرة" من خلال طرح المعلّم حسن للسؤال المحيّر: من منكم يعرف ماذا تعني كلمة وطن؟

فجاء الجواب على لسان أحد التلاميذ الذين حفظوا الدرس من العام الماضي لأنّه أعاد السنة: »فرنسا هي وطننا الأم«، لكن عمر كشف الكذبة الكبيرة، وراح يقارن بوعي عميق بين فرنسا (فضاء الغربة والمستعمر) عالم ماوراء البحر، وبين أمه الحقيقية عيني/بلده الأم، وبأسلوب ساخر يتساءل الطفل عمر: كيف تكون له أم أخرى غير عيني؟

ومثل الطفل عمر تبدي الطفلة ليلى بطلة les hommes qui marchent لمليكة مقدم وعيا كبيرا بحقيقة المعرفة التي تلقّن لها في المدرسة الفرنسية؛ فاكتشفت منذ سنوات التعليم الأولى خطر التعليم الاستعماري الذي يسهم في إلغاء الهوية وغزو الثقافة، كما يسعى إلى طمس جغرافية الذات الجزائرية؛ يرد على لسان الراوية/البطلة: "نصوص الإملاء والقراءة لا تذكر إلا فرنسا، وحتى مواضيع دروس الرسم لا تأخذ نموذجا لها إلا فرنسا." بهذا المعنى يتم وضع فضاء المستعمر في المركز، وإبعاد فضاء المستعمَر كنوع من الإقصاء والتغييب.

يحضر موضوع التعليم الاستعماري في كتابات جل الكتاب الجزائريين الرواد، ويهدف الكتاب في هذا السياق إلى تبيين أثر المدرسة الفرنسية في هوية الأجيال الناشئة في المجتمعات المستعمَرة، والعمل على تغيير وعي هذه الأجيال.

الهجرة إلى أوروبا

شكّلت هجرة الجزائريين إبان الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال موضوعا محوريا في الكتابات الجزائرية باللغة الفرنسية، فعالج الكتاب واقع المهاجرين الذين عانوا مختلف أشكال التهميش والاستغلال النفسي والجسدي؛ حيث عاش الجزائريون في أرض المهجر بوصفهم مواطنين من الدرجة الثانية، خاضعين لمختلف أشكال السلطة. في رواية La terre et le sang الأرض والدم يتحدّث مولود فرعون

عن هجرة العرب إلى فرنسا، ويصوّر حياة البطل عامر في الغربة، كما تناول كاتب ياسين الموضوع نفسه في رواية Mohamed, prends ta valise "محمد، احمل حقيبتك وامش"، وفي رواية *Le Polygone étoilé*, "الميدان المرصّع بالنجوم" 1966، وتناوله مالك حداد في عدد من أعماله، وكتب رشيد بوجدرة حول الأوضاع القاهرة للعرب في فرنسا، وصوّر في روايته "ضربة شمس" حياة البطل مهدي المريض في المشفى، كان يتألم من الحرب الجزائرية ومن كوارثها، ولقائه بجزائري مغترب لا يعرف لغته الأم، يتواصل معه عن طريق الرسم، وعبّر لمهدي برسوماته عن "المدن الفرنسية التي يهطل فيها المطر بصورة دائمة، السوداء من دخان المصانع، التي يعمل بها الأجانب، الذين يعملون أيضا في الأنفاق. يعمل الناس المهانون والمذلون في أماكن مظلمة، وذلك بسبب رغيف الخبز"، فينقل الكاتب من خلال الرواية حياة الضياع، والاستغلال والغربة التي يعيشها العمال العرب في أوروبا، وهذا الموضوع ورد في الشعر أيضا مثلما رأينا في الظلال الحارسة لمحمد ديب.

أرض الوطن:

ارتبطت أرض الوطن بالمشاعر والأحاسيس والذكريات، وتبرز كنقيض لأرض الغربة في مؤلفات الكتاب الجزائريين، فنجد تعبيرا عن الحنين لأرض الوطن في كتابات مالك حدّاد، ورشيد بوجدرة.

تلك هي أبرز القضايا التي شغلت الجيل الأوّل من الكتاب، ويتبيّن لنا مما تقدم ارتباط مختلف الموضوعات التي تمحورت حولها كتابات هؤلاء الكتاب بمرحلة ثورة التحرير، وبسياقات تاريخية وسياسية خاصة. لقد عبّرت روايات مرحلة الثورة عن قضية التحرّر من الاستعمار، وإثبات الذات الجزائرية من خلال إعلاء قضايا الهوية واللغة والدين والتراث؛ من خلال كتابات؛ جميلة دباش، مولود معمري، محمد ديب، آسيا جبار، مالك حداد، طاوس عمروش، مولود فرعون, ولهاصي، كاتب ياسين،،،وغيرهم من الكتاب.

وإذا كان الأدب الجزائري في مراحله الأولى يحاول الالتزام بقضايا الثورة والمقاومة، فإنّ هذا الأدب أخذ في المراحل التالية، يصوّر التغييرات الاجتماعية والسياسية التي شهدها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال إذ ظهر في مرحلة مابعد الاستقلال كتاب جدد تناولوا القضايا السياسية والاجتماعية، مثل نبيل فارس، وطاهر جاووت، ويمينة مشاكرة، ورشيد ميموني. وعبّر الأدباء عن خيبة أملهم في الاستقلال، حيث لم يحقّق لهم الاستقلال السياسي ما كانوا يحلمون به. ورصدت الرواية مرحلة

التحوّل في المجتمع، وما خلفه الاستعمار من أيتام، وأرامل، وما تسبب فيه من مشاكل اجتماعية، وتأثير على الثقافة، هذا ما ركّز عليه الكتاب. وكانت الرواية تنتقد الأوضاع السائدة، وتحرض على الثورة، وظهر البعد الأيديولوجي في الرواية واضحا في هذه المرحلة. لذا نجد أنّ أغلب الكتّاب سافروا إلى فرنسا، وكتبوا عن المشاكل الاجتماعية، والفقر، والتشرّد، والملاحظ على نصوص هذه المرحلة هيمنة النزعة الانتقادية لسياسة البلاد إثر الفوضى العارمة بسبب الصراع على السلطة، فنجد la dance du roi " رقصة الملك" لمحمد ديب " muezzin" المؤذّن لـ " مراد بوربون"، و L'insolationضربة شمس" لرشيد بوجدرة ".

العنف

شكّل العنف موضوعا أساسيا في روايات ياسمينة خضرا التي صوّرت أحداث العشرية السوداء، عكست روايات Les agneaux du seigneur خرفان المولى، و A quoi rêvent les loups بما تحلم الذئاب لمحمد مولسهول الملقب بياسمينة خضرة، حالة الفوضى التي تعيشها الجزائر، وانتشار الإرهاب، حيث تحوّل وليد نافع الشاب الفنان إلى إرهابي، وصار قائد جماعة إرهابية يمارس قتل الأبرياء، بعد أن كان يحلم بأن يصبح ممثلا، وظهرت أزمة المثقف.

أطلق على أدب هذه المرحلة الأدب الاستعجالي، وتركّز الاهتمام حول ملاحقة الأحداث، وصور الأزمة التي مرت بها الجزائر في هذه المرحلة مما أدى إلى هجرة الكتاب. ونعاين ذلك في كتابات :(بوعلام صنصال، ياسمينة خضرا، محمد ديب ، رشيد بوجدرة ،آسيا جبار، مليكة مقدم، ليلى صبار، ميسة باي).

ومن الموضوعات التي شغلت الكتاب الجزائريين تلك التي تتعلّق بالهوية والتعدّد الثقافي، والغرابة، وفضح الخروقات الاجتماعية والسياسية، والهجرة غير الشرعية. هذا وقد التفت الكتاب إلى تراثهم الثقافي الخاص بما فيه من آفاق أسطورية، وفلكلورية وشعبية، وراحوا يستلهمون منه تيماتهم، ويوظفون عناصره في بنية نصوصهم الروائية، فتنوّعت بذلك أشكال السرد، ومن الأمثلة المعبّرة عن ذلك روايات آسيا جبار، وكاتب ياسين، وديب، ونبيل فارس.

نتبيّن من خلال التنوّع الهائل لموضوعات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الأجنبية تطوّر الأدب المكتوب بالفرنسية أو بلغات أخرى (الإيطالية مثلا مع الروائي عمارة لخوص)، ويؤكّد لنا تنوّع

الموضوعات ثراء هذا الأدب، وأصالته ، فعلى الرغم من استعارته للحروف اللاتينية إلا أنه ارتبط بسياقات ثقافية واجتماعية خاصة، وحافظ على الروح الجزائرية العربية الأصيلة، ومثّل صوت الشعب في مرحلة الثورة، وتعدّدت وظائفه خلال مراحل تطّره التاريخي، وتعزّزت بنياته الجمالية والثقافية، وأصبح يلامس قضايا كونية، ما خوّل له أن يحقّق الانتشار، ويلفت اهتمام المتلقي الغربي، ويترجم إلى مختلف لغات العالم، ويحصد الجوائز العالمية. وبذلك تجاوز هذا الأدب حدود المحلية وراح يعانق العالمية.

L'ECRIVAIN	**LES ROMANS**	السنة	(الكاتب(ة	الرواية بالعربية
Mohammed Dib	L'incendie	1954	محمد ديب	الحريق
Mouloud Feraoun	Jours de kabylie	1954	مولود فرعون	أيام قبائلية
Djamila Debèche	Aziza	.1955	. جميلة دباش	عزيزة
Mouloud Mammeri	. Le sommeil du juste	1955	مولود معمري	نوم . العادل
Mohammed Dib	Au café	1955	محمد ديب	في المقهى
Kateb Yacine	. Nedjma	.1956	.كاتب ياسين	نجمة .
Malek Ouary	Le grain dans la meule	1956	مالك هواري	حبة في الرحى
Assia Djebar	.la soif	1957	. آسيا جبار	العطش .

Mohammed Dib	.le métier à tisser	1957	. محمد ديب	النول .
Mouloud Feraoun	. Les chemins qui montent	1957	. مولود فرعون	الدروب . الوعرة
Assia Djebar	Les impatients	1958	آسيا جبار	المتلهفون
Malak Haddad	. La dernière impression	.1958	مالك حداد	الانطباع . الأخير
Mohammed Dib	.Un Eté africain	.1959	. محمد ديب	صيف . إفريقي
Malak Haddad	. Je t'offrirai une gazelle	.1959	. مالك حداد	سأهبك . غزالة
Mouloud Feraoun	L'anniversaire	1959	مولود فرعون	عيد ميلاد
Malak Haddad	. L'élève et la leçon	.1960	مالك حداد	التلميذ . والدرس
Taous Amrouche	Rue des tambourins	1960	طاوس عميروش	شارع الطبالين
Malak Haddad	. Le Quai aux fleurs ne répond pas	1960	مالك حداد	رصيف الأزهار لم يعد

يجيب				
جمال	هنري كريا	1961	Djamal	Henri Kréa
ابن الفلاح	تامي مجبور	1961	Le fils du fellah	Tami Medjbeur

المراجع:

-أحمد منور, الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر 2000.

-سفيتلانا براجوغينا،حدود العصور حدود الثقافات، ترجمة ممدوح أبو الوي، راتب سكر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.1995

Jean Déjeux, Littérature Maghrébine de langue française, Ed,naaman, Sherbrooke, .Québec, canada,1980

سؤال التطبيق:

بيّن أهم الموضوعات التي تمحورت حولها الكتابات النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية؟